Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 21:3 (1986

آراء القـراء الكـرام

فجوة الأجيال و مظاهر التمرّد على آداب العلاقة بين الكبار والنّاشئة

د . خو رشيدالرضوى

الحمدلله الذى خلق الموت والحياة، فأنشأ الناس جيلا بعد جيل ووصّى الانسان بوالديه حسنا، فضيّق بذلک الفجوة بين السّلف والخلف والصّلوة والسّلام على من أوصانا بتوقير الكبار ورحمة الصّغـاروسنّ لنا سننا تربط الأمة بعضها ببعض على مرّ الدّهور و الأجيال .

أمّا بعد فانّ الزّمان من دأبه التغيّر وليس الى تغيير ذلک من سبيل . ومن هذا التغيّر الدّائم ينشأ الفـرق بيـن المقبـل والمدبـر والقديـم والحديث . ولكنّ التغيّر عرض يقوم أساسه على جوهر البقاء ولذلک يحتاج الانسان دائما الى عناصر خالدة تربط بين القديم والحديث . ويسعى كلّ مجتمع بشرى لتخليد قيم تصون العلاقة بين الكبار والناشئة عن الانفكاک . ولكلّ مجتمع وجهة نظر خاصّة فى هذا الشّأن .

أمّا الثقافة الغربية الحديثة فقد عنيت بالتقّدم الميكانيكىّ اكثرممّا عنيت بالعلاقات البشريّة . ولذلک وهنت هذه العلاقـات فى ظلالها وتفككّت عراها حتى لم يبق عندهم فكرة الأسرة . وبقى المسنّون من الناس منفكّين فى زواياهم عن الجيل النّاشئ . ولم يؤدّ ذلک الـى شيوع الاطمئنان والهدوء بين الجيل الناشـئ أيضا . بل زادهم وحشة

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

واضطرابا و أصبح كلّ منهم يحسّ بالوحدة والانعزال . وزادت الفجوة اتّساعا بين جيل وجيل بل بين فرد و فرد . وأدى ذلک الى انشاء جيل حانق ثائر على كل فيمة من قيم الحياة .

ولما كان الغرب قد أصبح إماما للعالم الحديث كله، يقتفى العالم آثاره حيثما انتحى ، لم تنحصر هذه الظاهرة فى الغرب بل تسرّبت الى الشرق أيضا . وبُلِىَ شبابُنا بداء لم يكن منشؤه فى حضارتنا . وردّ الفعل عند كبارنا تجاه هذه الظاهرة يبدو عموما فى غضبهم على ويأسهم عن النّاشئة . وذلک مما يحول دون التفحّص عن الأسباب التى تورث هذا الدّاء العضال والبحث عن الطّرق التى يمكن باستخدامها الشفاء منه .

واكثر ما نرى آثار هذا الدّاء فى ناشئتنا هو فى معشر الطّلاّب ولا سيّما فى الجامعات وذلک مايجعل هذا البحث متعلّقا بموضوع النّدوة وهو ,,تربية الشباب المسلم و دور الجامعات فيها،، .

انّ السبب الاساسى لفجوة الأجيال ، كما اشرنا اليه آنفا ، هو مرور الزّمان نفسه وليس الى ايقافه من سبيل . ثمّ انّ الـزّمان فى عصرنا أسرع جدّا ممّا كان فيما سبق من العصور وبناء على ذلک تبدو فجوة الأجيال ابرز و أوسع فى زماننا وسيزيد ذلک فى المستقبل لأنّ الظروف تزداد تعقّدا وسرعة .

وتأثير هذه السرعة يختلف فيما بين النّاشئة والكبار . أمّا الكبـار فينزعجون من تغيّر الزمان ويسئمون مظاهره التى تظهر عنـد النشء الجديد . ويظهرون من ذلک التبّـرم والضجـر . ويتّهمون الشبـاب بالغواية والتردّى والانحطاط . ويقطعون قطعا باليأس عن مستقبلهم . وأما الناشئة فيسترسلون مع تيّار الزّمان استرسالا دون أن ينقدوه ليعرفوا صحيحه من سقيمه ويميّزوا حسنه من قبحه ويتّهمون الكبار بالغباوة وقصور العقل . ولا يخفى مايكمن فى هذا التطرّف من دواعى النزاع اللانهائى الذى لن يزداد الاّ توتّرا .

والمقام السليم من هذا الموقف الحرج هو أن يستمسک كلّ من الفريقين ويسلّط العقل على العاطفة ويحاسب نفسه ويمدّ الى الآخر يد العون والمساعدة لتضييق هذه الفجوة .

فمن واجب الكبار فى هذا الصدد ، هو أن لايرفضوا الزّمان حقّه من التغيّر . وأن يقبلوا هذا الحقّ بوجه طلق ولا ينظروا الى كلّ تغير بعين الازدراء والانكار . ومن واجبهم أن يعاملوا الناشئة بالشفقة والرّحمة والحبّ و الاخلاص وأن يفضّلوا فى شأنهم الرّجاء على اليأس ويبلّغوا اليهم القيم الاسلاميّة ، فى رفق ونصيحة لايشوبهما سخط أو خشونة . كما أنّه يجب على الناشئين أن لاينسوا ما فى تراثهم الاسلامى من التوصية ببّر الوالدين واكرام الكبار وأن يتأدّبوا بهذه الآداب العظيمة .

والطبقة المثقّفة التى تمثّل الكبار، والتى هى جديرة بأن يكون لها تأثير عميق فى نفوس الشباب النّاشئين، هى طبقة الأساتذة فانّهم أقرب النّاس الى الشباب ولذلک أقدرهم على معرفة دواعى صدورهم وهواجس خاطرهم . ولكنّ الأستاذ لاحظّ له من التأثير فى طباع تلامذته مالم يكن صاحب نزاهة وحسن سمعة ، تكون سيرته فعلا أنموذجا للفضائل المثالية التى يقوم بتعليمها . فانّ التّلميذ كأنّه ينظر عبر الزّجاج حين يرمق الأستاذ بعينه الثّاقبة التى لايكاد يفوتها شئ من ملامح الشخصيّة الباطنة للأستاذ . فاذا رجعت هذه العين مطمئنة بسيرة الأستاذ خضع التليمذ أمامه واستسلم . واذا رجعت يائسة خائبة ثار وتمرّد . فمن أهمّ دور الجامعات، أوّلا، أن يُحْسَنَ اختيارُ الأساتذة ولا يُراعىَ فى ذلک شئ سوى الموهبة والصلاحية، وحسن السيرة . وثانيا، أن تُوَفّر الاسبابُ التى تجعل طبقة الاساتذة مستغنين عمّا حولهم، مطمئنين بمالديهم .

وهناک بواعث عديدة أخرى لظاهرة التمرّد . منها العطل والبطالة السّائدة فى شئون الحياة، وخوف مستقبل غامض لايتّضح مسيرهُ، وغير

ذلک من العوامل التی تدفع الیأس فی صدر الشابّ الناشئ لأنه لایعرف لماذا یعیش والی أیّ هدف یسیر . والشباب أشبه شئ بالنار تأکل ما حولها اذا لم تجد وقودا ثمّ تأکل نفسها أخیرا . فمن الضروری تخطیط برامج واضحة ، بنّاءة، ایجابیّة للجیل النّاشئ فانّ التقصیر فی هذا السبیل سینشئ جیلا ساخطا ثائرا . وهناک مشکلة أخری وهی مشکلة تدخّل رجال السّیاسة فی المعاهد التعلیمیة وعبثهم بعقول النّاشئة والتغلّب علی هذه المشکلة لیس من السهل، فعلا لأنّ السیاسیّین لایمکن اقناعهم برعایة المصالح الأخلاقیّة أکثر من المصالح السّیاسیّة .

وقصاری القول أنّ الفجوة بین الأجیال أمر طبیعیّ ولیس الی سدّها من سبیل . بل ولا حاجة الی سدّها کاملا . لأنّها فی الحقیقة تضمن التطوّر للمجتمع البشریّ . فانّ الجیل النّاشئ لو کان صورة طبق الأصل للجیل السّابق لما أمکن التطوّر . ولکن الفجوة اذا اتّسعت أکثر ممّا ینبغی یُحاوَلُ اصلاحُها وردّها الی مایُرام . وأنّه لو أُحْسِن اختیارُ الأساتذة وتخطیط المناهج وهیّئت الأسباب التی تصون سیرة الأساتذة عمّا لایلیق بهم وقُضِیَ علی البطالة ومحاباة الأقارب، والشفاعات السیّئة وقتل الموهبة وغیر ذلک من المفاسد الشّائعة ووُفِّقَ أصحابُ السّیاسة للاتّفاق علی أنّ لاّ یتخذوا المقارّ العلمیّة ساحةً لعِراکهم وعمّ التمسّک بتعالیم دیننا الحنیف، لأمکن تضییق هذه الفجوة والقضاء علی مظاهر التمّرد . والله ولّی التوفیق وعلیه التکلان وله الحمد أوّلا وآخرا .

★ _ ★ _ ★ _ ★ _

(قدم هذا المقال الی ندوة ,,الشباب المسلم و دور الجامعات فیها،، المنعقد فی اسلام آباد فی ٢٠ ـ ٢٢ رجب ١٤٠٦هـ ١ ـ ٣ ابریل ١٩٨٦م بالتعاون بین رابطة الجامعات الاسلامیة والجامعة الاسلامیة العالمیة)